اللجوء الى الصراع المسلح . لا يوجد أي امكان لاقامة حـوار على أساس هـذه الفرضيات المطلقة . لقد انتج التاريخ الطويـل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ارتيابا متبادلا وهواجس متبادلة بين الفريقين . ولهذا ينظر الى توكيدات اسرائيل لنواياها السلمية بالدرجة نفسها من الشك وعدم الثقة التي تنظر بها اسرائيل الى العروض السلمية العربية . ان غياب أي حوار هادف في الماضي ناشىء جزئيا عن هذه القراءة المتبادلة لنوايا كل من فريقي النزاع .

لم يكن هناك نقص في مساعي التوفيق في الماضي . لقد انبثقت عن هيئة الامم المتحدة لجنة توفيق في العام ١٩٥٠ . ولقد اتخذت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا مبادرات فردية في الخمسينات . وفي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ قام وسيط الامم المتحدة غونار يارنغ بجهود أخرى ، وكذلك في ١٩٧٢ بواسطة بعثة رؤساء الدول الافريقية . ولم ينجح أي من هذه الجهود في التوصل الى التسوية المنشودة . وفي اعقاب حرب اكتوبر ، جاءت آخر المساعي وتولتها هذه المرة الولايات المتحدة الامريكية عبر وزير خارجيتها . ولقد خلقت هذه المبادرة حتى الآن* آمالا باحتمال أن يصبح هذا النزاع الذي طال ، وأخيرا ، قابلا للحل . وعلينا أن ننتظر لنرى كيف ستتطور الامور ، لكن الحاسم والملح في هذه اللحظة ، هو أن نعي فرضيات ونوايا الوسيط ، كي نفهم طبيعة التسوية التي قد يتم الوصول اليها .

على أنه ينبغي التوكيد في هذا المقام بالذات ، على أن السياسة الخارجية لدولـة عظمـى ليست بالضرورة انعكاسا لافكار رجل واحـد وجهوده . ذلك ان المصالح الاساسية للدولة العظمى ضمن واقع عالمي متغير ، أقوى وأبقى بكثير من ميول أي وزير للخارجية .

ومع ذلك فان وزراء الخارجية الامريكيين في الماضي ، خلفوا وراءهم علامات مميزة على عملية رسم السياسة وتطبيقها ، وفي كثير مـن الاحيان كانوا المقرريـن لنهج السياسة التي تسلكها الدولة العظمى . ولا حـاجة بنا لان نشير الى أن رؤيا وزير الخارجية دالس للعالم ساهمت في الاستقطاب الحاد الذي شهده المجتمع العالمي ، وقادت الولايات المتحدة الى أن تنظر بامتعاض الى مجهودات اللامنحازين ، والى تبني سياسة الهوس بالاحلاف والتهديد بالانتقام الواسع النطاق .

وبالرغم من أن وزير الخارجية كيسينجر أكثر ميلا الى الدبلوماسية الشخصية مما كان عليه وزير الخارجية دالس ، فانه لا ينبغي افتراض ان أسلوبه غير قابل للتحدي أبدا ، او أن فرضياته هي الفاصلة . ذلك لان من الجلي ان ضغوطات من أجل تسوية تفاوضية تكون مقبولة لدى العرب ، قد وجهت من جماعات داخلية ، وهي جماعات مؤثرة في المجتمع الامريكي . ومـن البيّن أن الشركات المتعددة الجنسيات والقطاع المصرفي ، قد مارست ضغوطا هائلة في هذا الاتجاه . ومع ذلك فان مكانة كيسينجر على امتداد السنوات الماضية ، والدور المنفرد الذي لعبه في التعامل مع الشرق الاوسط يسوغان اهتمامنا بنمط التسوية التي يتخيلها ، والفرضيات التي تهدي خطاه في جهوده نحو تلك التسوية .

---

* كتب هذا المقال قبل ظهور نتائج مساعي كيسينجر الخائبة من أجل تسوية مرحلية أخرى في سيناء .